



علم القراءات القرآنية

نشأته وتطوره

عاديل جلول

باحث بسلك الدكتوراه

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة مولاي إسماعيل - مكناس

المغرب

مقدمة:

يعتبر علم القراءات القرآنية من أشرف العلوم الشرعية، وأجلها قدرا، وأشدّها أثرا...، وذلك لصلته الوثيقة بالقرآن الكريم من حيث كيفية النطق بألفاظه، فلا تستقيم تلاوة القرآن الكريم إلا إذا كانت منضبطة بأحكام القراءة الصحيحة المروية بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

من أجل ذلك أولاه العلماء عناية فائقة حيث وضعوا القواعد المؤسسة له، والشروط الناظمة له، وتنافسوا في تصنيف الكتب منذ عصر تدوين العلوم الشرعية إلى زماننا هذا، وفي كل أقطار العالم الإسلامي، الشيء الذي أفرز مدارس متنوعة في علم القراءات القرآنية، تشترك في المضمون وتتنوع في الأسلوب، مما جعلها تتكامل فيما بينها لغرض واحد ألا وهو خدمة النص القرآني تلاوة وتعبداً، وتحسيدياً للاضطلاع بأمانة العلم التي يروم حملها العدول من الأمة في كل زمان...

ومن هنا كان لزاماً على كل مرید لعلم من العلوم الشرعية قبل الولوج إليه أن يلم بمصطلحاته، وتاريخه، وأن يطلع على التطور والتدرج الذي عرفه قبل أن يستوي على سوقه، حتى يكون طلبه على بصيرة، ويحني الثمرة المقصودة من ذلك العلم.

وللمساهمة في تقريب صورة هذا العلم، آثرت بعد التوكل على الله تعالى أن أتقدم ببحث مختصر عنوانه: "علم القراءات القرآنية (نشأته وتطوره)"، من أجل المشاركة في العدد الخامس والعشرين من مجلة المعرفة.

وقد دفعني لاختيار هذا الموضوع جملة من الأمور منها:

— مكانة علم القراءات القرآنية الذي يستحق إمطة اللثام عن تاريخه وتطوره.

— إبراز جهود علماء الأمة في خدمة علم القراءات القرآنية عبر التاريخ.



__ وهذا البحث يطرح جملة من الإشكالات يمكن صياغتها في الأسئلة الآتية:

ما المقصود بعلم القراءات القرآنية؟

__ وما هي المراحل التي مر منها هذا العلم؟

__ وهل يتضمن هذا العلم مذاهب قرائية كما هي عند الفقهاء والأصوليين أم لا؟

__ وهل لتعدد القراءات أثر على المعنى القرآني أم لا؟

__ وقد اقتضت طبيعة هذا البحث جعله في أربعة محاور:

__ **المحور الأول** خصصته للتعريف بعلم القراءات القرآنية، أما **المحور الثاني** فقد تحدث فيه عن نشأة وتطور علم القراءات القرآنية وذلك

بذكر التدرج التاريخي لهذا العلم، وفي **المحور الثالث** تناولت شروط القراءة الصحيحة، وقد ختمت **بمحور رابع** خصصته للكلام عن معنى الخلاف القرائي، وأنواعه، وفوائده.

__ وأما عن المناهج التي سأستعملها إن شاء الله تعالى فهي كالآتي:

__ المنهج الاستقرائي، وذلك من خلال تتبع الكتب التي أُرِّخت لنشأة وتطور علم القراءات القرآنية.

__ والمنهج الوصفي، وذلك من خلال الحديث عن التراث العلمي الذي تركه الأئمة عبر التاريخ.

__ المنهج التحليلي، وذلك من خلال إبراز الحكم والأسرار من الخلاف القرائي وما يبني على ذلك آثار.

وللإشارة فهذا العلم مبناه وأساسه على الرواية والتلقين، ولا قياس يدخل فيه كما يقول الإمام الشاطبي القارئ في منظومته:

" وما لقياس في القراءة مدخل // فدونك ما فيه الرضا متكفلا"، فلا تصرف في مباحثه إلا بقدر النقل والإحالة، لذلك كان عملي فيه

نقل وجمع ما سطره علماء هذا الفن، فإن وُفقت فبفضل الله تعالى، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان.



المحور الأول: تعريف علم القراءات القرآنية.

✓ القراءات لغة:

مشتقة من مادة (ق. ر. أ)، يقال «فَرَأَ الْكِتَابَ قِرَاءَةً وَ قُرَأْنَا بِالضَّمِّ، وَقَرَأَ الشَّيْءَ قُرْآنًا بِالضَّمِّ أَيْضًا جَمَعَهُ وَصَمَّهُ، وَمِنْهُ سُمِّيَ الْقُرْآنُ لِأَنَّهُ يَجْمَعُ السُّورَ وَيَضُمُّهَا. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ} [القيامة: 16] أَيْ قِرَاءَتَهُ....»⁽¹⁾

✓ القراءات اصطلاحاً:

__ هناك عدة تعريفات سأقتصر على ثلاثة منها وهي:

__ تعريف الإمام الزركشي رحمه الله حيث قال: «وَالْقِرَاءَاتُ هِيَ اخْتِلَافُ أَلْفَاظِ الْوَحْيِ الْمَذْكُورِ فِي كِتَابَةِ الْحُرُوفِ أَوْ كَيْفِيَّتِهَا مِنْ تَخْفِيفٍ وَتَثْقِيلٍ وَغَيْرِهِمَا»⁽²⁾.

__ تعريف الإمام ابن الجزري رحمه الله حيث عرفها بقوله: «القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقل»⁽³⁾

__ تعريف الأستاذ عبد الفتاح القاضي؛ أن القراءات القرآنية: «علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية، وطريق أدائها اتفاقاً واختلافاً مع عزو كل وجه لناقله»⁽⁴⁾

__ هذه التعريفات الاصطلاحية الثلاثة ترجع إليها كل التعريفات التي عرضها أصحاب المصنفات في علم القراءات القرآنية، فمن تأمل كتب المتقدمين والمتأخرين وجدها لا تخرج عن هذه الثلاثة:

__ فالتعريف الأول للإمام الزركشي يلاحظ عليه أنه قصر علم القراءات القرآنية على ذكر الأوجه الخلافية بين القراء ولم ينص على ذكر المتفق عليه، وعذره في ذلك هو كون هذا الأمر معهوداً في زمانه، أو ربما اكتفى بذكر المختلف فيه، للدلالة بمفهوم المخالفة على أن ما سكت عنه هو محل اتفاق بين الأئمة القراء، وهذا المسلك سلكه عدة علماء قبله وبعده.

__ أما التعريف الثاني للإمام ابن الجزري، فهو تعريف جامع مانع، نص على المختلف فيه بصريح العبارة، وعلى المتفق عليه بدلالة التضمن.

__ أما التعريف الثالث وهو المختار عندي؛ فهو للدكتور عبد الفتاح القاضي؛ فقد صرح بأن علم القراءات يهتم بكيفية النطق بالكلمات القرآنية اتفاقاً واختلافاً مع إسناد كل قول إلى صاحبه، وهو بصنيعه هذا جمع ما كان متفرقاً عند غيره رحمه الله تعالى.



✓ شرح تعريف الدكتور عبد الفتاح القاضي للقراءات القرآنية:

تعرف الدكتور عبد الفتاح القاضي علم القراءات القرآنية بأنه " «علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية، وطريق أدائها

اتفاقا واختلافا مع عزو كل وجه لناقله»⁽⁵⁾

معناه أنه علم يهتم بالكلمات القرآنية من حيث أحوال النطق بها، وكيفية أدائها، وذلك من أجل صون اللسان عن الخطأ عند تلاوة

القرآن الكريم، مع ذكر كل الأوجه القرائية معزوة إلى صاحبها بالسند المتصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع موافقة اللغة العربية، وكذا

موافقة الرسم العثماني، فوصفه بالعلم يدل على أن له قواعد وضوابط وأساسا يرتكز عليها، وتبنى عليها مسائله.

المحور الثاني: نشأة وتطور علم القراءات⁽⁶⁾.

في هذا المحور سأعرض بحول الله تعالى وقوته، للتدرج التاريخي لعلم القراءات القرآنية منذ نشأته في عهد النبي صلى الله عليه وسلم،

مرورا بعهد الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم، ووصولاً إلى مرحلة تدوينه وإفراجه بالتأليف.

✓ المرحلة الأولى: القرآن والقراءات في زمن النبي صلى الله عليه وسلم.

ويمكن إجمال هذه المرحلة في النقاط التالية:

1- تلقين جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم القرآن وضمنه القراءات القرآنية باعتبارها جزءاً من الحروف السبعة التي أنزل بها

القرآن الكريم.

2- تعليم النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة القرآن الكريم...، وقد ورد عن عثمان وابن مسعود وأبي بن كعب رضي الله عنهم " أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرئهم العشر، أي: آيات، فلا يجاوزونها إلى عشر أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل، فيعلمهم القرآن

والعمل معا".

3- قراءة النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة وغيرها، كانت تطبيقاً لكيفية النطق بكلمات القرآن الكريم، الشيء الذي جعل الصحابة

يتعلمون من قراءته صلى الله عليه وسلم.

4- تعليم الصحابة بعضهم لبعض القرآن الكريم، حيث كان يُسمع لهم في المسجد دوي كدوي النحل بسبب تلاوة القرآن الكريم.

5- ظهور طائفة من الصحابة يسمون (بالقراء)، بسبب شدة حرصهم على تلاوة القرآن الكريم ومدارسته، وتسميتهم بالقراء هو بداية

نشوء هذا المصطلح القرائي.



6- إرسال النبي صلى الله عليه وسلم سفراء من الصحابة رضي الله عنهم لتعليم الناس تعاليم الإسلام ومنها كيفية قراءة القرآن الكريم، ومن الذين أرسلهم ؛ مصعب بن عمير حيث لقب بالمقريء، وأيضا عبد الله بن أم مكتوم، ثم بلال وعمار رضي الله عنهم....، ولما فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة ترك فيهم معاذ ابن جبل رضي الله عنه لتعليم المسلمين القرآن الكريم.

✓ المرحلة الثانية: القرآن والقراءات في زمن الصحابة والتابعين.

ويمكن إجمال هذه المرحلة في النقاط التالية:

1- تعليم الصحابة القراء غيرهم من الصحابة والتابعين لقراءة القرآن الكريم، فقد قرأ أبو هريرة وابن عباس وعبد الله بن السائب وعبد الله بن عياش وأبو العالية على أبي بن كعب، وقرأ المغيرة بن أبي شهاب المخزومي على عثمان بن عفان، وقرأ الأسود بن يزيد النخعي على عبد الله بن مسعود..، وهكذا.

2- تعيين الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه مقرئا خاصا بكل مصر من الأمصار التي بعث إليها بمصحف، حيث أرسل عبد الله بن السائب المخزومي (ت 70 هـ) إلى مكة، وأبو عبد الرحمن السلمي (ت 47 هـ) إلى الكوفة، وكان قبله ابن مسعود حينما أرسله عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، وعامر بن عبد قيس (ت 55 هـ) إلى البصرة، والمغيرة ابن أبي شهاب المخزومي (ت نيف وسبعين هـ) إلى الشام، وجعل زيد بن ثابت (ت 45 هـ) مقرئا في المدينة، وكان هذا في حدود سنة ثلاثين من الهجرة.

3- إقبال جماعة من كل مصر على الاهتمام بالقرآن الكريم تعلموا وتعلّما ومدارسة، ومن هؤلاء:

أ- في المدينة:

معاذ بن الحارث، المعروف بمعاذ القارئ (ت 63 هـ)، وسعيد ابن المسيب (ت 94 هـ)، وعروة بن الزبير (ت 95 هـ)، وعمر بن عبد العزيز (ت 101 هـ) وعطاء بن يسار (ت 103 هـ)، وسالم بن عبد الله بن عمر (ت 106 هـ)، وغيرهم.

ب- في مكة:

عبيد بن عمير (ت 74 هـ)، ومجاهد بن جبر (ت 103 هـ)، وطاوس بن كيسان (ت 106 هـ)، وعطاء بن أبي رباح (ت 115 هـ)، وعبد الله بن أبي مليكة (ت 117 هـ)، وعكرمة مولى ابن عباس (ت 200 هـ)، وغيرهم.

ج- في الكوفة:

عمرو بن شراحيل (ت بعد 60 هـ)، وعلقمة بن قيس (ت 62 هـ)، ومسروق بن الأجدع (ت 63 هـ)، وعبيدة بن عمرو السلماني (ت 72 هـ)، وأبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي (ت 74 هـ)، وإبراهيم بن يزيد النخعي (ت 96 هـ)، وغيرهم.



د- في البصرة:

عامر بن عبد قيس (ت حوالي 55 هـ)، ويحيى بن يعمر العدواني (ت 90 هـ)، ونصر بن عاصم الليثي (ت قبل المائة هـ)، وأبو رجاء العطاردي (ت 105 هـ)، والحسن البصري (ت 110 هـ)، ومحمد بن سيرين (ت 110 هـ)، وغيرهم.

ه- في الشام:

المغيرة بن أبي شهاب المخزومي (ت نيف وسبعين هـ)، وخليفة بن سعد صاحب أبي الدرداء، وغيرهم، وشملت هذه النقطة النصف الثاني من القرن الأول الهجري والنصف الأول من القرن الثاني الهجري.

4- ظهور أئمة القراءات الذين جمعوا ما تركه سلفهم وشُهد لهم بالتمكن في علم القراءات القرآنية رواية ودراية، ومن هؤلاء:

أ- بالمدينة:

أبو جعفر يزيد بن القعقاع (ت 130 هـ)، وشيبة بن نصاح (ت 130 هـ)، ونافع بن أبي نعيم (ت 169 هـ).

ب- بمكة:

عبد الله بن كثير (ت 120 هـ)، وحميد بن قيس الأعرج (ت 130 هـ)، ومحمد بن محيصن (ت 123 هـ).

ج- بالكوفة:

يحيى بن وثاب (ت 103 هـ)، وعاصم بن أبي النجود (ت 129 هـ)، وسليمان بن مهران الأعمش (ت 148 هـ)، وحمزة ابن حبيب الزيات (ت 156 هـ)، والكسائي (ت 189 هـ).

د- بالبصرة:

عبد الله بن أبي إسحاق (ت 129 هـ)، وعيسى بن عمر (ت 149 هـ)، وأبو عمرو بن العلاء (ت 154 هـ)، وعاصم الجحدري (ت 128 هـ)، ويعقوب الحضرمي (ت 205 هـ).

ه- بالشام:

عبد الله بن عامر (118 هـ)، وعطية بن قيس الكلابي (ت 121 هـ) وإسماعيل بن عبد الله بن المهاجر، ويحيى بن الحارث الذماري (ت 145 هـ)، وشريح بن يزيد الحضرمي (ت 203 هـ).

وكانت هذه الفترة تمهيدا للمرحلة التي بعدها، وهي فترة التدوين لروايات القراءات مع توفرها وبروزها ووضوحها.



✓ المرحلة الثالثة: مرحلة التأليف في علم القراءات القرآنية.

ويمكن تناول هذه المرحلة في النقاط الآتية:

- 1- اختلف المؤرخون في أول من ألف في علم القراءات، فذهب الأكثر إلى أنه الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام (ت 224 هـ)، وذهب ابن الجزري إلى أنه أبو حاتم السجستاني (ت 225 هـ)، وقيل أن يحيى بن يعمر (ت 90 هـ) هو أول من ألف في علم القراءات ثم تتابع التأليف من بعده، وقد زاد عدد المؤلفات بعد ابن مجاهد عن أربع وأربعين مصنفًا. ويلاحظ أن هذه المصنفات لم تقتصر على عدد معين من القراءات القرآنية.
- 2- تسبيع القراءات القرآنية، حيث ظهر ذلك مع الإمام أبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي (ت 324 هـ)، ومعنى التسبيع هنا؛ أي الاختصار على سبعة قراء، حيث جمع ابن مجاهد في كتابه قراءة سبعة قراء اشتهرت قراءتهم في الأمصار، ثم تبعه في طريقة التسبيع مجموعة من المصنفين، الشيء الذي جعل بعض الدارسين يظن أن هذه السبعة هي المتواترة وغيرها لا يصح أو ينسب للشذوذ، مما جعل العلماء يحددون شروطًا للقراءة الصحيحة.
- 3- ثم توالي التأليف في القراءات السبع، ومن أبرز هذه الكتب «التيسير» لأبي عمرو الداني (ت 444 هـ)، ونظمه للإمام الشاطبي (ت 590 هـ)، وقد زادت شروحها عن (29) شرحًا.
- 4- بعد تسبيع السبعة، جاءت مرحلة الاحتجاج للقراءات في جوانبها اللغوية (الصوتية والصرفية والنحوية).
- 5- ثم جاءت مرحلة تفريد القراءات وتسديسها وتثمينها وتعشيرها دفعا لما علق في أذهان الكثيرين من أن الأحرف السبعة الواردة في الحديث الشريف هي القراءات السبع التي جمعها ابن مجاهد، قال أبو الفضل الرازي رحمه الله: «وَأَنَّ النَّاسَ إِذَا تَمَنَّوْا الْقُرْآنَ وَعَشَرُوهَا وَزَادُوا عَلَى عَدَدِ السَّبْعَةِ الَّذِينَ افْتَصَرَ عَلَيْهِمْ ابْنُ مُجَاهِدٍ لِأَجْلِ هَذِهِ الشُّبْهَةِ، ثُمَّ قَالَ: وَإِنِّي لَمْ أَقْتَفِ أَتْرَهُمْ تَثْمِينًا فِي التَّصْنِيفِ، أَوْ تَعَشِيرًا، أَوْ تَفْرِيدًا إِلَّا لِإِزَالَةِ مَا دَكَرْتُهُ مِنَ الشُّبْهَةِ، وَلِيَعْلَمَ أَنَّ لَيْسَ الْمُرَاعَى فِي الْأَحْرَفِ السَّبْعَةِ الْمُنَزَّلَةِ عَدَدًا مِنَ الرِّجَالِ دُونَ آخَرِينَ وَلَا الْأَزْمِنَةَ وَلَا الْأَمْكِنَةَ، وَأَنَّهُ لَوْ اجْتَمَعَ عَدَدٌ لَا يُحْصَى مِنَ الْأُمَّةِ فَاخْتَارَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ حُرُوفًا بِخِلَافِ صَاحِبِهِ وَجَرَّدَ طَرِيقًا فِي الْقِرَاءَةِ عَلَى جِدَةٍ فِي أَيِّ مَكَانٍ كَانَ وَفِي أَيِّ أَوَانٍ أَرَادَ بَعْدَ الْأَيَّامِ الْمَاضِينَ فِي ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ كَانَ ذَلِكَ الْمُخْتَارَ بِمَا اخْتَارَهُ مِنَ الْحُرُوفِ بِشَرَطِ الْإِخْتِيَارِ، لَمَا كَانَ بِذَلِكَ خَارِجًا عَنِ الْأَحْرَفِ السَّبْعَةِ الْمُنَزَّلَةِ، بَلْ فِيهَا مُتَسَعٌّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»⁽⁷⁾

والمقصود بالتفريد أفراد قراءة واحدة بالتأليف، والتسديس: ذكر ست قراءات في مؤلف واحد وهكذا. والهدف من ذلك أمران:

- 1- إزالة ما توهمه كثيرون من أن القراءات السبع هي الأحرف السبعة.



2- بيان أن هناك قراءات أخرى غير السبع مقبولة وصحيحة.

وقد أورد ابن الجزري طائفة من هذه الكتب في قائمة مصادر كتابه «النشر»، وذكر في غاية النهاية كثيرا منها عند ترجمته لمؤلفيها، وذكر صاحب كشف الظنون أكثرها حسب ترتيب أسمائها على حروف المعجم، كما ذكرت مرتبة على حسب سنوات وفاة مؤلفيها في الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي- قسم القراءات أصدرته مؤسسة آل البيت في الأردن، ويقع في ثلاثة أجزاء.

الخور الثالث: شروط القراءة الصحيحة:

حدد علماء القراءات القرآنية شروطا وضوابط لقبول القراءة الصحيحة التي يجوز التعبد بها، وهذه الضوابط لخصها الإمام ابن الجزري

في طيبة النشر بقوله (8):

فَكُلُّ مَا وَافَقَ وَجَهَ نَحْوٍ ... وَكَانَ لِلرَّسْمِ اِحْتِمَالًا يَحْوِي

وَصَحَّ إِسْنَادًا هُوَ الْقُرْآنُ ... فَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ الْأَرْكَانُ

وَحَيْثَمَا يَحْتَلُّ رُكْنٌ أَثْبِتْ ... شُدُودَهُ لَوْ أَنَّهُ فِي السَّبْعَةِ

ومعنى هذه الأبيات أن شروط القراءة الصحيحة ثلاثة وهي:

1- صحة السند.

2- موافقة اللغة العربية ولو بوجه.

3- موافقة القراءة لأحد المصاحف العثمانية.

✓ معنى شروط القراءة الصحيحة:

1- صحة السند:

معناه أن يروي القراءة عدل ضابط عن مثله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، من غير شذوذ ولا علة قاذحة.

2- موافقة اللغة العربية ولو بوجه.

أي موافقة وجه من وجوه قواعد اللغة العربية سواء أكان أفصح أم فصيحاً، مجمعا عليه أم مختلفا فيه.

3- موافقة القراءة لأحد المصاحف العثمانية.

معناه أن يكون ثابتا في أحد المصاحف العثمانية التي أرسلها إلى الأمصار.



فكل قراءة اجتمعت فيها هذه الشروط الثلاثة يحكم بقبولها، سواء أكانت مروية عن الأئمة السبعة أم العشرة أم عن غيرهم من

الأئمة المقبولين.⁽⁹⁾

المحور الرابع: اختلاف القراءات؛ مفهومه وأنواعه، وفوائده.

في هذا المحور سأحدث عن ثلاث نقاط مهمة في الدرس القرائي، الأولى تتعلق بمفهوم اختلاف القراءات القرآنية والعلاقة بينه وبين

الخلافاً الفقهي والأصولي.

والثانية تتمركز حول أنواع الخلاف القرائي من خلال استقراء الإمام ابن الجزري رحمه الله، حيث حصرها في ثلاثة.

والنقطة الثالثة بسطت فيها الفوائد والأسرار من اختلاف القراءات القرآنية.

✓ مفهوم اختلاف القراءات القرآنية.

تضمنت تعاريف القراءات مصطلح "الاختلاف في أداء الكلمات القرآنية" فهذا قد يوهم بأن الاختلاف القرائي خاصة في القراءات

المتواترة؛ هو اختلاف تضاد وتناقض يستلزم الترجيح كما هو عند الفقهاء والأصوليين، لكن الحقيقة أنه لا علاقة للخلاف القرائي بالخلاف

الفقهي والأصولي.

فالخلاف القرائي مبني على النقل والرواية المستوفية للشروط والأركان، والمفضية إلى التسليم بصحة المروي، وعليه فالخلاف القرائي خلاف

تنوع لا خلاف تضاد وتناقض، يقول الإمام ابن الجزري رحمه الله «وَأَمَّا حَقِيقَةُ اخْتِلَافِ هَذِهِ السَّبْعَةِ الْأَخْرَفِ الْمَنْصُوصِ عَلَيْهَا مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَائِدَتُهُ، فَإِنَّ الْإِخْتِلَافَ الْمُشَارَ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ الْخِطَابِ تَنَوُّعٌ وَتَعَايِيرٌ لَا اخْتِلَافَ تَضَادٍّ وَتَنَاقُضٍ، فَإِنَّ هَذَا مُحَالٌ أَنْ يَكُونَ فِي

كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى قَالَ - تَعَالَى -: { أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا } (النساء 81).⁽¹⁰⁾

وقال أيضاً: « وَكُلُّ مَا صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ وَجِبَ قَبُولُهُ، وَلَمْ يَسَعْ أَحَدًا مِنَ الْأُمَّةِ رُدُّهُ وَلَزِمَ الْإِيمَانُ بِهِ، وَإِنَّ

كُلَّهُ مُتَرَلِّقٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، إِذْ كُلُّ قِرَاءَةٍ مِنْهَا مَعَ الْأُخْرَى بِمَنْزِلَةِ الْآيَةِ مَعَ الْآيَةِ يَجِبُ الْإِيمَانُ بِمَا كَلَّمَهَا وَاتَّبَاعُ مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ الْمَعْنَى عِلْمًا وَعَمَلًا، وَلَا

يَجُوزُ تَرْكُ مُوجِبِ إِحْدَاهُمَا لِأَجْلِ الْأُخْرَى ظَنًّا أَنَّ ذَلِكَ تَعَارُضٌ، وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: " لَا تَخْتَلِفُوا فِي الْقُرْآنِ

وَلَا تَتَنَازَعُوا فِيهِ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَخْتَلِفُ وَلَا يَتَسَاقَطُ، أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ شَرِيعَةَ الْإِسْلَامِ فِيهِ وَاحِدَةٌ، حُدُودُهَا وَقِرَاءَتُهَا وَأَمْرُ اللَّهِ فِيهَا وَاحِدٌ، وَلَوْ كَانَ مِنْ

الْحَرْفَيْنِ حَرْفٌ يَأْمُرُ بِشَيْءٍ يَنْهَى عَنْهُ الْأَخْرَ كَانَ ذَلِكَ الْإِخْتِلَافَ، وَلَكِنَّهُ جَامِعٌ ذَلِكَ كُلُّهُ، وَمَنْ قَرَأَ عَلَى قِرَاءَةٍ فَلَا يَدْعُهَا رَغْبَةً عَنْهَا، فَإِنَّهُ مَنْ

كَفَرَ بِحَرْفٍ مِنْهُ كَفَرَ بِهِ كُلُّهُ".



وَأِلَى ذَلِكَ أَشَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ قَالَ: لِأَحَدِ الْمُخْتَلِفِينَ: "أَحْسَنْتَ"، وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرَ: "أَصَبْتَ"، وَفِي الْآخَرَ: "هَكَذَا أَنْزَلْتُ". فَصَوَّبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِرَاءَةَ كُلِّ مِنَ الْمُخْتَلِفِينَ، وَقَطَعَ بِأَنَّهَا كَذَلِكَ أَنْزَلَتْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَهَذَا افْتَرَقَ اخْتِلَافُ الْقُرَّاءِ مِنْ اخْتِلَافِ الْفُقَهَاءِ، فَإِنَّ اخْتِلَافَ الْقُرَّاءِ كُلُّ حَقٍّ وَصَوَابٌ نَزَلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَهُوَ كَلَامُهُ لَا شَكَّ فِيهِ، وَاخْتِلَافُ الْفُقَهَاءِ اخْتِلَافٌ اجْتِهَادِيٌّ وَالْحَقُّ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ فِيهِ وَاحِدٌ، فَكُلُّ مَذْهَبٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْآخَرِ صَوَابٌ يَحْتَمِلُ الْخَطَأَ، وَكُلُّ قِرَاءَةٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْآخَرَى حَقٌّ وَصَوَابٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ نَقَطَعَ بِذَلِكَ وَتَوَمَّنُ بِهِ، وَنَعْتَقُدُ أَنَّ مَعْنَى إِضَافَةِ كُلِّ حَرْفٍ مِنْ حُرُوفِ الْإِخْتِلَافِ إِلَى مَنْ أُضِيفَ إِلَيْهِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَغَيْرِهِمْ، إِنَّمَا هُوَ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ كَانَ أَضْبَطَ لَهُ وَأَكْثَرَ قِرَاءَةً وَإِقْرَاءً بِهِ، وَمُلَازِمَةً لَهُ، وَمِثْلًا إِلَيْهِ، لَا غَيْرَ ذَلِكَ. وَكَذَلِكَ إِضَافَةُ الْحُرُوفِ وَالْقِرَاءَاتِ إِلَى أَيْمَةِ الْقِرَاءَةِ وَرُؤَاتِهِمُ الْمُرَادُ بِهَا أَنَّ ذَلِكَ الْقَارِئِ وَذَلِكَ الْإِمَامِ اخْتَارَ الْقِرَاءَةَ بِذَلِكَ الْوَجْهِ مِنَ اللَّعَةِ حَسَبًا قَرَأَ بِهِ، فَأَثَرُهُ عَلَى غَيْرِهِ، وَدَاوَمَ عَلَيْهِ وَلَرِمَهُ حَتَّى اسْتَهْرَ وَعُرِفَ بِهِ، وَفُصِدَ فِيهِ، وَأَخَذَ عَنْهُ؛ فَلِذَلِكَ أُضِيفَ إِلَيْهِ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْقُرَّاءِ، وَهَذِهِ الْإِضَافَةُ إِضَافَةٌ اخْتِيَارِيَّةٌ وَدَوَامٌ وَلُزُومٌ لَا إِضَافَةٌ اخْتِرَاجِيَّةٌ وَرَأْيِي وَاجْتِهَادِي»⁽¹¹⁾

✓ أنواع اختلاف القراءات القرآنية.

— استقر الإمام ابن الجزري رحمه الله أنواع الاختلاف بين القراءات القرآنية فوجدها لا تخرج عن ثلاثة هي:

— النوع الأول: اختلاف اللفظ والمعنى واحد.

— النوع الثاني: اختلاف اللفظ والمعنى معا مع جواز اجتماعيهما في شيء واحد.

— النوع الثالث: اختلاف اللفظ والمعنى معا مع امتناع اجتماعيهما في شيء واحد.

يقول ابن الجزري رحمه الله: « وَقَدْ تَدَبَّرْنَا اخْتِلَافَ الْقِرَاءَاتِ كُلِّهَا فَوَجَدْنَاهَا لَا تَخْلُو مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ: (أَحَدُهَا) اخْتِلَافُ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ، وَ (الثَّانِي) اخْتِلَافُهُمَا جَمِيعًا مَعَ جَوَازِ اجْتِمَاعِهِمَا فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ، وَ (الثَّلَاثُ) اخْتِلَافُهُمَا جَمِيعًا مَعَ امْتِنَاعِ جَوَازِ اجْتِمَاعِهِمَا فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ، بَلْ يَتَّفِقَانِ مِنْ وَجْهِ آخَرَ لَا يَقْتَضِي التَّضَادَّ »⁽¹²⁾

✓ أمثلة أنواع اختلاف القراءات القرآنية:

— النوع الأول: اختلاف اللفظ والمعنى واحد.

— يقول الإمام ابن الجزري رحمه الله « فَأَمَّا الْأَوَّلُ فَكَالِاخْتِلَافِ فِي (الصِّرَاطَ وَعَلَيْهِمْ وَيُؤَدِّهِ وَالْقُدْسِ وَيَحْسَبُ) وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يُطْلَقُ عَلَيْهِ أَنَّهُ لَعَاتٌ فَقَطُ »⁽¹³⁾.



فكلمة (الصراط)، يقرأها جمهور القراء بالصاد، ويقرأها قنبل عن ابن كثير بالسين، ويقرأها خلف عن حمزة بإشمام الصاد صوت الزاي في جميع المواضع من القرآن الكريم، ويقرأها خلاد بالإشمام أيضا لكن في الموضع الأول من سورة الفاتحة فقط وليس في جميع القرآن الكريم. فرغم هذه المذاهب لا أثر لها فكلها تدل على نفس المعنى.

– النوع الثاني: اختلاف اللفظ والمعنى معا مع جواز اجتماعيهما في شيء واحد.

– يقول الإمام ابن الجزري رحمه الله: « وَأَمَّا الثَّانِي فَنَحْوُ (مَالِكٍ، وَمَلِكٍ) فِي الْفَاتِحَةِ، لِأَنَّ الْمُرَادَ فِي الْقِرَاءَتَيْنِ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى، لِأَنَّهُ مَالِكٌ يَوْمَ الدِّينِ وَمَلِكُهُ.

وَكَذَا (يُكذِّبُونَ، وَيَكذِبُونَ)؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهِمَا هُمُ الْمُنَافِقُونَ لِأَنَّهُمْ يُكذِّبُونَ بِاللَّيْلِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَكذِبُونَ فِي أَحْبَابِهِمْ وَكَذَا (كَيْفَ نُنشِرُهَا) بِالرَّاءِ وَالزَّايِ، لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهِمَا هِيَ الْعِظَامُ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ أَنْشَرَهَا أَي: أَحْيَاهَا، وَأَنْشَرَهَا أَي: رَفَعَ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ حَتَّى التَّامَّتْ فَضَمِنَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَعْنِيَيْنِ فِي الْقِرَاءَتَيْنِ « (14).

– فلفظ ملك ومالك من سورة الفاتحة فيه تفاوت في المعنى فملك ليست هي ملك، وعدد حروف اللفظين غير متساو، لكن رغم هذا الاختلاف في اللفظ والمعنى إلا أنهما يدلان على أن المراد هو الله تعالى لأنه مالك يوم الدين وملكه، فالقراءة بحذف الألف هي قراءة الجمهور، وقراءة الإثبات هي قراءة عاصم والكسائي ويعقوب الحضرمي وخلف العاشر.

– النوع الثالث: اختلاف اللفظ والمعنى معا مع امتناع اجتماعيهما في شيء واحد.

– يقول الإمام ابن الجزري رحمه الله « وَأَمَّا الثَّالِثُ فَنَحْوَ (وَطَّنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَبُوا) بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ، وَكَذَا (وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لِيَتْرُوكَ مِنْهُ الْجِيَالُ) بِفَتْحِ اللَّامِ وَرَفْعِ الْأُخْرَى وَبِكَسْرِ الْأُولَى وَفَتْحِ الثَّانِيَةِ، وَكَذَا (لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فَتَنُوا، وَفَتَنُوا) بِالتَّسْمِيَةِ وَالتَّجْهِيلِ...» (15)

– فقراءة قول الله تعالى { حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا } (يوسف: 110)

بالتشديد هي قراءة نافع، وبالتخفيف هي قراءة عاصم.

– فأما وجه التشديد في لفظ { قد كذبوا }، أي وتيقن الرسل أن قومهم قد كذبوهم، فالظن في هذه القراءة يحمل على اليقين والضمائر الثلاثة للرسل.

– ووجه التخفيف { قد كذبوا }، أي وتوهم المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به، والظن في هذه القراءة شك، والضمائر الثلاثة للمرسل إليهم.



فكل هذه القراءات رغم اختلافها فهي صحيحة تحققت فيها شروط القبول التي سبق بيانها، فهي تدل على التنوع لا التضاد، وهذا الخلاف القرائي له فوائد وحكم حددها علماؤنا الأجلاء رحمة الله عليهم.

✓ فوائد اختلاف القراءات القرآنية.

سبق الحديث في المحور السابق عن أنواع الاختلاف المتعلق بالقراءات القرآنية، وتمت الإشارة إلى أن ذلك الخلاف من باب التنوع القرائي لا من باب التناقض والتضاد، وأن القراءات المستوفية للشروط والأركان يجب التعبد بها جميعها دون ترجيح بعضها على بعض.

ولكن ما المقصد من هذا التنوع القرائي؟

وهل له فوائد وحكم وأسرار، أم أنه يتعارض مع سماحة الشريعة وتيسيرها على الأمة في كل المجالات بما في ذلك كيفية القراءة للوحي و أداء كلماته؟

إن المتتبع للمصنفات في علم القراءات القرآنية يدرك عدم إغفال أصحابها الحديث عن فوائد وحكم تنوع القراءات القرآنية، وإذا أردنا تتبعها واستقصاءها لن يسعفنا الوقت في سردها في هذا البحث المختصر، لذلك سأكتفي بما لخصه إمام هذا الفن في زمانه العلامة ابن الجزري في سفره الموسوم بـ "النشر في القراءات العشر" حيث ذكر أهمها وهي كالآتي:

أ- التسهيل والتخفيف على الأمة في قراءتها.

يقول الإمام ابن الجزري « وَأَمَّا فَائِدَةُ اِخْتِلَافِ الْقِرَاءَاتِ وَتَنْوُوعِهَا، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ فَوَائِدَ غَيْرَ مَا قَدَّمْنَا مِنْ سَبَبِ التَّهْوِينِ وَالتَّسْهِيلِ وَالتَّخْفِيفِ عَلَى الْأُمَّةِ. » (16)

يقصد الإمام ابن الجزري بالتسهيل والتخفيف على الأمة في طريقة النطق لأن رسالة القرآن شاملة للعرب والعجم، فهناك من يعسر عليه نطق الهمز المفرد الساكن في بعض الكلمات يجد ضالته في قراءة من القراءات وهناك من يسهل عليه التقليل من الحرف وإمالة وهناك من يناسبه الفتح، وهكذا...، فهذا تيسير على الأمة ودفع للحرج الذي قد يلحق لو كانت هنالك قراءة واحدة فقط.

ب- الدلالة على منتهى البلاغة وكمال الإعجاز وغاية الاختصار وجمال الإيجاز .

يقول الإمام ابن الجزري: «وَمِنْهَا مَا فِي ذَلِكَ مِنْ نِهَآيَةِ الْبَلَآغَةِ، وَكَمَالِ الْإِعْجَازِ وَغَايَةِ الْإِخْتِصَارِ، وَجَمَالِ الْإِيجَازِ، إِذْ كُلُّ قِرَاءَةٍ بِمَنْزِلَةِ الْآيَةِ، إِذْ كَانَ تَنْوُوعُ اللَّفْظِ بِكَلِمَةٍ نَقُومُ مَقَامَ آيَاتٍ، وَلَوْ جُعِلَتْ دَلَالَةُ كُلِّ لَفْظٍ آيَةً عَلَى حَدِّهَا لَمْ يَخَفْ مَا كَانَ فِي ذَلِكَ مِنَ التَّطْوِيلِ» (17).

ت- الدلالة القاطعة على أن القرآن الكريم كلام الله تعالى.



يقول الإمام ابن الجزري: « وَمِنْهَا مَا فِي ذَلِكَ مِنْ عَظِيمِ الْبُرْهَانِ وَوَاضِحِ الدَّلَالَةِ، إِذْ هُوَ مَعَ كَثْرَةِ هَذَا الْإِخْتِلَافِ وَتَنَوُّعِهِ لَمْ يَتَطَرَّقْ إِلَيْهِ تَضَادٌّ وَلَا تَنَافُضٌ وَلَا تَخَالُفٌ، بَلْ كُلُّهُ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَيُبَيِّنُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ لِبَعْضٍ عَلَى نَمَطٍ وَاحِدٍ وَأُسْلُوبٍ وَاحِدٍ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا آيَةٌ بِالْعَقَّةِ، وَبُرْهَانٌ قَاطِعٌ عَلَى صِدْقِ مَنْ جَاءَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»⁽¹⁸⁾.

ث- تيسير حفظ القرآن ونقله على الأمة.

يقول الإمام ابن الجزري رحمه الله: « وَمِنْهُ سُهُولَةٌ حِفْظِهِ وَتَيْسِيرُ نَقْلِهِ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ، إِذْ هُوَ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ مِنَ الْبَلَاغَةِ وَالْوَجَازَةِ، فَإِنَّهُ مَنْ يَحْفَظُ كَلِمَةً ذَاتَ أَوْجِهٍ أَسْهَلَ عَلَيْهِ وَأَقْرَبَ إِلَى فَهْمِهِ وَأَدْعَى لِقَبُولِهِ مِنْ حِفْظِهِ جَمَلًا مِنَ الْكَلَامِ تُؤَدِّي مَعَانِي تِلْكَ الْقِرَاءَاتِ الْمُخْتَلِفَاتِ، لَا سِيَّمَا فِيمَا كَانَ خَطُّهُ وَاحِدًا، فَإِنَّ ذَلِكَ أَسْهَلُ حِفْظًا وَأَيْسَرُ لَفْظًا»⁽¹⁹⁾.

ج- إعظام أجور الأمة.

يقول الإمام ابن الجزري رحمه الله: « وَمِنْهَا إِعْظَامُ أَجُورِ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُمْ يُفْرِعُونَ جُهْدَهُمْ لِيَبْلُغُوا قَصْدَهُمْ فِي تَتَبُعِ مَعَانِي ذَلِكَ وَاسْتِنْبَاطِ الْحُكْمِ وَالْأَحْكَامِ مِنْ دَلَالَةِ كُلِّ لَفْظٍ، وَاسْتِخْرَاجِ كَمِينِ أَسْرَارِهِ وَخَفِيِّ إِشَارَاتِهِ، وَإِنْعَامِهِمُ النَّظَرَ وَإِمْعَانِهِمُ الْكَشْفَ عَنِ التَّوَجُّهِ وَالتَّعْلِيلِ وَالتَّرْجِيحِ، وَالتَّفْصِيلِ بِقَدْرِ مَا يَبْلُغُ غَايَةَ عِلْمِهِمْ، وَيَصِلُ إِلَيْهِ نَهَائِهِ فَهَمِهِمْ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَحْمَةً أَلِيًّا لَا أُضِيعُ عَمَلٌ مِنْكُمْ مِنْ دَكْرٍ أَوْ أَنْتَى، وَالْأَجْرُ عَلَى قَدْرِ الْمَشَقَّةِ»⁽²⁰⁾.

ح- بيان فضل هذه الأمة وشرفها على سائر الأمم.

يقول الإمام ابن الجزري رحمه الله: « وَمِنْهَا بَيَانُ فَضْلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَشَرَفِهَا عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ، مِنْ حَيْثُ تَلَقَّيْتُمْ كِتَابَ رَبِّكُمْ هَذَا التَّلْقِي، وَإِقْبَالُهُمْ عَلَيْهِ هَذَا الْإِقْبَالَ، وَالْبَحْثُ عَنْ لَفْظَةٍ لَفْظَةٍ، وَالْكَشْفُ عَنْ صِغَةِ صِغَةٍ، وَبَيَانُ صَوَابِهِ، وَبَيَانُ تَصْحِيحِهِ، وَإِتْقَانُ تَجْوِيدِهِ، حَتَّى حَمَّوهُ مِنْ حَلَلِ التَّخْرِيفِ، وَحَفْظُهُ مِنَ الطُّغْيَانِ وَالتَّطْفِيفِ، فَلَمْ يُهْمِلُوا تَحْرِيكًا وَلَا تَسْكِينًا، وَلَا تَفْخِيمًا وَلَا تَرْقِيقًا، حَتَّى ضَبَطُوا مَقَادِيرَ الْمَدَّاتِ وَتَفَاوُتِ الْإِمَالَاتِ وَمَيَّزُوا بَيْنَ الْحُرُوفِ بِالصِّفَاتِ، مِمَّا لَمْ يَهْتَدِ إِلَيْهِ فِكْرُ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ، وَلَا يُوصَلُ إِلَيْهِ إِلَّا بِإِلْهَامِ بَارئِ النَّسَمِ»⁽²¹⁾.

خ- بيان المنقبة العظيمة، والنعمة الجليلة التي خص الله تعالى بها هذه الأمة وهي الإسناد.

يقول الإمام ابن الجزري رحمه الله: « وَمِنْهَا مَا أَدَّخَرَهُ اللَّهُ مِنَ الْمُنْقَبَةِ الْعَظِيمَةِ، وَالتَّعْمَةِ الْجَلِيلَةِ الْجَسِيمَةِ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ الشَّرِيفَةِ، مِنْ إِسْنَادِهَا كِتَابَ رَبِّهَا، وَاتِّصَالَ هَذَا السَّبَبِ الْإِلَهِيِّ بِسَبَبِهَا حَصِيبُهُ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، وَإِعْظَامًا لِقَدْرِ أَهْلِ هَذِهِ الْمِلَّةِ الْحَنِيفِيَّةِ، وَكُلِّ قَارئٍ



يُوصِلُ حُرُوفَهُ بِالنَّقْلِ إِلَى أَصْلِهِ، وَيَرْفَعُ اِرْتِيَابَ الْمُلْحَدِ قَطْعًا بِوَصْلِهِ، فَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْفَوَائِدِ إِلَّا هَذِهِ الْفَائِدَةُ الْجَلِيلَةُ لَكَفَتْ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْخَصَائِصِ إِلَّا هَذِهِ الْخَصِيصَةُ النَّبِيلَةُ لَوَفَّتْ»⁽²²⁾.

د- ظهور سر الله تعالى في توليه حفظ كتابه وصيانته من التحريف لفظا ومعنى.

يقول الإمام ابن الجزري رحمه الله: « وَمِنْهَا ظُهُورُ سِرِّ اللَّهِ فِي تَوَلِّيهِ حِفْظَ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ وَصِيَانَةَ كَلَامِهِ الْمُنَزَّلِ بِأَوْفَى الْبَيَانِ وَالتَّمْيِيزِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُخَلِّ عَصْرًا مِنَ الْأَعْصَارِ، وَلَوْ فِي قَطْرِ مِنَ الْأَقْطَارِ، مِنْ إِمَامٍ حُجَّةٍ قَائِمٍ يَنْقُلُ كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى وَإِتْقَانِ حُرُوفِهِ وَرَوَايَاتِهِ، وَتَصْحِيحِ وُجُوهِهِ وَقِرَاءَاتِهِ، يَكُونُ وَجُودُهُ سَبَبًا لَوْجُودِ هَذَا السَّبَبِ الْقَوِيمِ عَلَى مَمَرِ الدُّهُورِ، وَيَقَاؤُهُ دَلِيلًا عَلَى بَقَاءِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ فِي الْمَصَاحِفِ وَالصُّدُورِ »⁽²³⁾.



لعل ما تم بسطه في هذا البحث المتواضع قد أسهم ولو يسيرا في الكشف عن مجموعة من القضايا المتعلقة بعلم القراءات القرآنية

والتي يمكن تلخيصها فيما يلي:

- 1- أن التعريف الجامع للمانع للقراءات هو الذي يتضمن ذكر الاتفاق والاختلاف القرائي معزوا لصاحبه مع اتصال السند.
- 2- أن علم القراءات القرآنية مر بعدة مراحل يمكن جمعها في ثلاث هي:
 - أ- المرحلة الأولى: القرآن والقراءات في زمن النبي صلى الله عليه وسلم.
 - ب- المرحلة الثانية: القرآن والقراءات في زمن الصحابة والتابعين.
 - ت- المرحلة الثالثة: مرحلة التأليف في علم القراءات القرآنية.
- 3- أن معنى الخلاف القرائي مغاير لمعنى الخلاف الفقهي والأصولي، فالقرائي إذا تحققت شروط القراءة فيه يكون صحيحا معتبرا لا يدخله الترجيح، والفقهي والأصولي يستلزم الترجيح بين الأقوال عند التعارض.
- 4- أن الخلاف القرائي أنواع حصرها الإمام ابن الجزري في ثلاثة هي:
 - أ- النوع الأول: اختلاف اللفظ والمعنى واحد.
 - ب- النوع الثاني: اختلاف اللفظ والمعنى معا مع جواز اجتماعيهما في شيء واحد.
 - ث- النوع الثالث: اختلاف اللفظ والمعنى معا مع امتناع اجتماعيهما في شيء واحد.
- 5- أن المعتبر في قبول أي قراءة هو توفرها على ثلاثة شروط هي:
 - أ- صحة السند.
 - ب- موافقة اللغة العربية ولو من وجه.
 - ت- موافقة الرسم العثماني.
- 6- أن لاختلاف القراءات القرآنية مجموعة من الفوائد يمكن إجمالها فيما يلي:
 - أ- التسهيل والتخفيف على الأمة في قراءتها.
 - ب- الدلالة على منتهى البلاغة وكمال الإعجاز وغاية الاختصار وجمال الإيجاز .
 - ت- الدلالة القاطعة على أن القرآن الكريم كلام الله تعالى.
 - ث- تيسير حفظ القرآن ونقله على الأمة.



ج- إعظام أجور الأمة.

ح- بَيَانُ فَضْلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَشَرَفِهَا عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ.

خ- بيان المَنْقَبَةِ الْعَظِيمَةِ، وَالْبَعْمَةِ الْجَلِيلَةِ التي خص الله تعالى بها هذه الأمة وهي الإسناد.

د- ظهور سر الله تعالى في توليه حفظ كتابه وصيائته من التحريف لفظا ومعنى.

وختاما أسأل الله تعالى أن يجعل هذا البحث خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفعني به وإخواني طلبة العلم، وأن يجزل لأئمتنا المثوبة على ما تركوه لنا من مصنفات قريت مسائل علم القراءات، ودللت صعباه.

الهوامش:

- 1 - مختار الصحاح، لزين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي / تحقيق: يوسف الشيخ محمد / الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا/ الطبعة: الخامسة، 1420هـ / 1999 م / الصفحة 249.
- 2 - البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين بن بشار الزركشي (ت ٧٩٤هـ) / المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم / الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان - الطبعة: الأولى، 1376 هـ_ 1957 م / الصفحة 318 الجزء 1.
- 3- منجد المقرئين ومرشد الطالبين للإمام محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري، (ت ٨٣٣هـ) / دار الكتب العلمية / الطبعة: الأولى 1420هـ_ 1999 م / الصفحة 9.
- 4 - البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، للأستاذ عبد الفتاح القاضي / الناشر: مكتبة أنس بن مالك (مكة) / الطبعة الأولى سنة 1423هـ_ 2002م / الصفحة 5.
- 5 - البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، للأستاذ عبد الفتاح القاضي / الناشر: مكتبة أنس بن مالك (مكة) / الطبعة الأولى سنة 1423هـ_ 2002م / الصفحة 5.
- 6 - مقدمات في علم القراءات، / (ثلاثة مصنفين: محمد أحمد مفلح القضاة، أحمد خالد شكري، محمد خالد منصور / دار عمار - عمان (الأردن) / الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2001 م / (الصفحة 65 وما بعدها بتصرف). و صفحات في علوم القراءات للدكتور أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور السندي / الناشر: المكتبة الأمداوية / الطبعة: الأولى - 1415 هـ / (الصفحة 28 وما بعدها بتصرف).
- 7 - النشر في القراءات العشر / للإمام محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري / المحقق: علي محمد الضباع / الناشر: المطبعة التجارية الكبرى (تصوير دار الكتاب العلمية) / الصفحة 43 و 44 الجزء 1.
- 8 - مَتْنُ «طَبِيبَةِ النَّشْرِ» فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ لِلْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ الْجَزْرِيِّ / المحقق: محمد تميم الزغي / الناشر: دار الهدى، جدة / الطبعة: الأولى، 1414 هـ_ 1994 م / الصفحة 32.
- 9 - للتوسع في معنى هذه الشروط ينظر شرح طيبة النشر في القراءات للإمام ابن الجزري، / وشرح طيبة النشر في القراءات العشر للعلامة محب الدين التُّوَيْرِيِّ / والهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر للأستاذ محمد سالم محيسن.
- 10 - النشر في القراءات العشر / للإمام محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري / المحقق: علي محمد الضباع / الناشر: المطبعة التجارية الكبرى (تصوير دار الكتاب العلمية) / الصفحة 49 الجزء 1.
- 11 - النشر في القراءات العشر / للإمام محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري / المحقق: علي محمد الضباع / الناشر: المطبعة التجارية الكبرى (تصوير دار الكتاب العلمية) / الصفحة 51 و 52 الجزء 1.
- 12 - النشر في القراءات العشر / للإمام محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري / المحقق: علي محمد الضباع / الناشر: المطبعة التجارية الكبرى (تصوير دار الكتاب العلمية) / الصفحة 49 الجزء 1.
- 13 - النشر في القراءات العشر / للإمام محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري / المحقق: علي محمد الضباع /



- الناشر: المطبعة التجارية الكبرى (تصوير دار الكتاب العلمية) / الصفحة 50 الجزء 1.
- 14 - النشر في القراءات العشر / للإمام محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري / المحقق: علي محمد الضباع / الناشر: المطبعة التجارية الكبرى (تصوير دار الكتاب العلمية) / الصفحة 50 الجزء 1.
- 15 - النشر في القراءات العشر / للإمام محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري / المحقق: علي محمد الضباع / الناشر: المطبعة التجارية الكبرى (تصوير دار الكتاب العلمية) / الصفحة 50 الجزء 1.
- 16 - النشر في القراءات العشر / للإمام محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري / المحقق: علي محمد الضباع / الناشر: المطبعة التجارية الكبرى (تصوير دار الكتاب العلمية) / الصفحة 52 الجزء 1.
- 17 - النشر في القراءات العشر / للإمام محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري / المحقق: علي محمد الضباع / الناشر: المطبعة التجارية الكبرى (تصوير دار الكتاب العلمية) / الصفحة 52 الجزء 1.
- 18 - النشر في القراءات العشر / للإمام محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري / المحقق: علي محمد الضباع / الناشر: المطبعة التجارية الكبرى (تصوير دار الكتاب العلمية) / الصفحة 52 الجزء 1.
- 19 - النشر في القراءات العشر / للإمام محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري / المحقق: علي محمد الضباع / الناشر: المطبعة التجارية الكبرى (تصوير دار الكتاب العلمية) / الصفحة 53 الجزء 1.
- 20 - النشر في القراءات العشر / للإمام محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري / المحقق: علي محمد الضباع / الناشر: المطبعة التجارية الكبرى (تصوير دار الكتاب العلمية) / الصفحة 53 الجزء 1.
- 21 - النشر في القراءات العشر / للإمام محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري / المحقق: علي محمد الضباع / الناشر: المطبعة التجارية الكبرى (تصوير دار الكتاب العلمية) / الصفحة 53 الجزء 1.
- 22 - النشر في القراءات العشر / للإمام محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري / المحقق: علي محمد الضباع / الناشر: المطبعة التجارية الكبرى (تصوير دار الكتاب العلمية) / الصفحة 53 الجزء 1.
- 23 - النشر في القراءات العشر / للإمام محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري / المحقق: علي محمد الضباع / الناشر: المطبعة التجارية الكبرى (تصوير دار الكتاب العلمية) / الصفحة 53 الجزء 1.